وأكثر من قلوب يهود رقة ونداوة وتأثراً وخشوعاً واستجابة، فمن الحجارة ما تفجَّر منها الأنهار والعيون على مشهد من يهود أنفسهم عندما استسقى موسى ـ عليه السلام ـ لـهـم، فضـرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، ومن الحجارة ما يشقَّق فيخرج منه الماء، ومن الحجارة ما يهبط من خشية اللّه، كما دكَّ الجبل الذي تجلَّى ربه عليه أمام موسى عليه السلام.

هذه الحجارة في رقتها ونداوتها واستجابتها وتفاعلهـا وهي حجارة صماء. أما قلوب اليهود التي يزعمون أنها إنسانية وفيها مشاعر وعواطف ومعـانٍ وسمات الإنسانية فإنها قاسية مجدبة صلدة.

وهذه القسوة القاتلة التي أصابت قلوبهم فجعلتها أقسى من الحجارة إنما كانت بسبب نقضهم ميثاقهم مع اللّه، وأي قلب يجرؤ أن ينقض عهده وميثاقه مع اللّه رب العالمين؟ إنَّ القلب يتحرج أن ينقض عهده مع أخيه الإنسان ويحسب لذلك كل حساب، ويخشى من ذلك العواقب، فكيف يستطيع هذا القلب أن ينقض عهده مع ربه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا قلب أقسى من الحجارة كقلب يهود، أو من اقتدى بيهود في نقائضهم ورذائلهم.

قال تعالى: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهم وجعلنا قلوبَهم قـاسيةً، يُحَرِّفون الكَلِم عن مواضِعه، ونَسُوا حظّاً ممَّا ذُكِّروا به، ولا تزال تطَّلع على خائنة منهم إلا قليـلاً منهم ﴾[1].

وتبيّن الآية سبب إيقاع اللعنة عليهم والقسوة على قلوبهم من خلال باء السببية ﴿ فبما نقضِهم ميثاقَهم لعنَّاهم، وجعلنا قلوبهم قاسيةً ﴾.

ونأخذ من الآية قاعدة عامة تمثل سنة ربانية عامة لا تتخلف، وهي إن كل من نقض عهده مع اللّه وتجرأ قلبه على هذه الجريمة فإن معاني الخير والرحمة والإنسانية تنضب من قلبه، والمشاعر والعواطف تجف في فؤاده، ويحل

(١) المائدة: ١٣.